بسم الله الرحمن الرحيم

المشروعـــات الاقتصاديـــة الكبـــرى
بيـــن الأمـــل والعمـــل

٣ من ذي القعدة ١٤٣٥هـ ــ ٢٩ من أغسطس ٢٠١٤م

العناصر:

١-القرآن والسنة مُفعمَان بالعمل .

٢-الأمل بلا عمل أمان كاذبة .

٣-قيمة العمل في الإسلام .

٤- محاربة الإسلام لليأس والكسل .

٥- أهمية دعم المشروعات الكبرى .

ثانيًا : الأدلة

الأدلة من القرآن الكريم:

١-قال تعالى : " قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ " [الزمر:٥٣] .

٢-وقال تعالى : " يَا بَنِيّ اذْهَبُوا فَتَحَسّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ " (يوسف ٨٧) .

٣-وقال تعالى : " حَتّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجّيَ مَن نّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجرِمِينَ " (يوسف ١١٠) .

٤-وقال تعالى : " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبّهِ أَحَدًا " (الكهف ١١٠) .

٥-وقال تعالى : " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشورُ " (الملك ١٥) .

٦-وقال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (الجمعة ٩-١٠) .

الأدلة من السنة :

١- عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا " (أخرجه البخاري) .

٢- وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا " (الأدب المفرد) .

٣- وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ " (رواه البيهقي في الشعب) .

٤- وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ والْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا الْمَمَاتِ " (أخرجه مسلم) .

٥- وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أطْيَب الكَسْبِ قال : عَمَل الرّجُلِ بِيَدِهِ وَكلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ " (أخرجه أحمد) .

٦- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ " (أخرجه البخاري) .

ثالثًا : الموضـــــوع

الحياة مفعمة بالأمل ، فلا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس ، والعاقل يجد لكل عقدة حلًا أو يحاول على أقل تقدير ، والأحمق يرى في كل حل مجموعة من العقد المتشابكة ، وبما أن صحيح الشرع لا يمكن أن ينتقض مع صحيح العقل ، لأن التشريعات موجهة لمصالح العباد ، فقد عدّ العلماء اليأس والتيئيس من رحمة الله (عزّ وجلّ) من الكبائر ، ويقول الحق سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) في حواره مع الملائكة وقد بشّروه بإسحاق (عليه السلام) : " قال أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ . " (الحجر : ٥٤-٥٦) ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رجلًا قال : يارسول الله ما الكبائر ؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : " الشرك بالله والإياس من روح الله والقنوط من رحمة الله ، من وقاه الله إياها وعصمه منها ضمنت له الجنة " (رواه البزار والطبراني في الأوسط) .

وهذا يعقوب (عليه السلام) يقول لولده : " " يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ " (يوسف ٨٧) ، ويقول الحق (سبحانه وتعالى) : "قال يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرّحِيمُ " (الزمر :٥٣) فلا ييأس مذنب من العفو ، لأن الله عزّ وجلّ فتح باب التوبة واسعًا ، وفي الحديث القدسي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : قال الله تعالى : "يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لقِيْتَنِيْ لاَتُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغفِرَةً" (أخرجه الترمذي) .

ولا ييأس مريض من عدم الشفاء مهما كان مرضه عضالًا ، فعليه أن يأخذ بأسباب التداوي مع التعلق بالله في الشفاء ، ولنا في أيوب (عليه السلام) أسوة ، يقول الحق (سبحانه) : " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ " (الأنبياء : ٨٤-٨٣) .

وإن كنت عقيما لا تنجب فلا تيأس من رحمة الله وفيض عطائه ، فهذه امرأة إبراهيم (عليه السلام) عندما بشرتها الملائكة بالولد على كبر سنها تقول :" قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " (هود ٧٢ – ٧٣) .

وإن كنت في حالة من ضيق اليد فاعلم أن فقير اليو م قد يكون غني الغد ،وغني اليوم قد يكون فقير الغد ، والأيام دول ، وأن الله (تعالى) إذا أراد للعبد شيًئا أمضاه له " إِنّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (يس ٣٦) ، ويقو ل سبحانه وتعالى : " مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (فاطر:٢) .

ومهما تكون اللحظات العصيبة في حياتك فتعلق بحبل الله (عز وجل) ، فهذه مريم (عليها السلام) عندما أظلمت الدنيا في عينيها ولم تجد ملجأ من الله إلا إليه قالت : " يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مّنسِيّاً " (مريم :٢٣) فكان الغوث والرحمة في قوله تعالى :" {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمّا تَرَينّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا " (مريم ٢٤-٢٦) .
وهذا يونس (عليه السلام) عندما التقمه الحوت لجأ إلى الله (عز وجل) واستمسك بحبله كانت الرحمة والنجاة حاضرتين ، ويقول الحق سبحانه :" {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى

فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ "(الأنبياء :٨٧-٨٨) .

غير أن الأمل بلا عمل أمل أجوف ، وأمانٍ كاذبه خاطئة ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : " لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علمت أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة " ، ولا يكفي مجرد العمل ، إنما ينبغي أن يكون العمل متقنًا ، فعن عائشة (رضي الله عنها) أن النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال : " إِنّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ " ويقول الحق سبحانه " إِنّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ إِنّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا " (الكهف :٣٠) فالإسلام لم يدعُ الي العمل ، أي عمل فحسب ، وإنما يطلب الإجادة والإتقان ، وذلك مع ضرورة مراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، فانه من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل انسان حارساً يحرسه ، أو مراقباً يراقبه ، وحتى لو فعلنا ذلك فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه ، والمراقب قد يحتاج الى من يراقبه ، ولكن من السهل أن نربي في كل انسانٍ ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إلى الخير لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم ، وفي حديث جبريل الطويل حين سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإحسان قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك " [متفق عليه] .

وللتأكيد على أهمية العمل دعانا الاسلام إلى أن نعمل الى آخر لحظة من حياتنا حتى لو لم ندرك ثمرة هذا العمل ، وما ذلك إلا لبيان قيمة العمل وأهمية الإنتاج للأفراد والأمم ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " إِنْ قَامَتْ السّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتّى يَغْرِسَهَا فَليغرسها " [الأدب المفرد] . كما دعا القرآن الكريم إلى العمل وجعله في مصاف العبادات فقد نادانا الحق سبحانه إلى صلاة الجمعة – هذه الشعيرة العظيمة – بأمر ثم صرفنا إلى العمل بأمر مساوٍ له حيث يقول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (الجمعة: ٩-١٠) وكان سيدنا عراك بنُ مالك (رضي الله عنه) إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين "

(تفسير ابن كثير) ، وإذا كان الإسلام يدعو الي العمل والإنتاج فإنه يرفض – وبشدة – البطالة والكسل والتسول – لأن ذلك من أسباب تأخر البلاد وهلاك العباد وقدكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستعيذ بالله من العجز والكسل ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " اللَّهُمّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ والْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ " (أخرجه مسلم) .

ومن ثم كان ترغيب الرسول (ص) في العمل ونهيه عن البطالة والكسل فعن أبي هريرة (ضي الله عنه) يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ " (أخرجه البخاري) ، وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أَطْيَب الكَسْبِ قال : عَمَلُ الرّجُلِ بِيَدِهِ وَكلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ " (أخرجه أحمد) . وعن المقدام (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنّ نَبِيّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ " (أخرجه البخاري) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إِنّ مِنَ الذّنُوبِ ذَنُوبًا لا تُكَفّرُهَا الصّلاةُ وَلا الصّيَامُ وَلا الْحَجُّ وَلا الْعُمْرَةُ " ، قَالُوا : فَمَا يُكَفّرُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ " (أخرجه الطبراني) ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله – وأحسبه قال – وكالقائم لايَفتُر وكالصائم لا يُفطِر " (متفق عليه) .

إن مما يدفع إلى الأمل ويتطلب الجهد والعمل لصالح الدين والوطن ، والفرد والمجتمع تلك المشروعات الكبرى كمشروع قناة السويس ، ومشروع توشكى وشرق العوينات ، ومشروع تنمية الساحل الشمالي وتنمية سيناء .

وما كل ذلك إلا للتأكيد على أهمية العمل والإنتاج ، إذ إن الأمم لا تملك كلمتها ولا إرادتها إلا إذا عمل أبناؤها جميعا على رقيها ونهضتها ، واستطاعت أن تنتج طعامها وشرابها وكساءها ودواءها وسلاحها ، وسائر مقومات حياتها ، ولن يكون ذلك إلا بالعلم والعمل والتخطيط الجيد.